الحياء من الله وسلوكيات الشارع العام (١)

في بداية حلقتنا عن الحياء وسلوكيات الشارع العام نريد أن نعلم: هل المعاملة بين الناس وقف على تبادل المنافع والعلاقات بين أصحاب العمل والعاملين، أم أنها أوسع من ذلك بحيث تشمل مجرد التلاقي العابر والتوائي في الشارع وأثر الأفعال غير المباشرة على الآخرين؟

الحقيقة أن النبي ﷺ عندما قال: الدين المعاملة لم يقصر المعاملة على البيع والشراء والتعامل بالدرهم والدينار مما درج الناس على وصفه بالمعاملة، وإنما يريد صلوات الله وسلامه عليه بالمعاملة ما يتجاوز ذلك كثيراً، إنه يقصد كل العلاقات التي تقوم بين الناس في حياتهم العامة، كل ما يبدو للناس مني وما يبدو من الناس لي، يقصد أن كل سلوك يؤثر على الغير خيراً أو شراً، هو معاملة بيني وبين الآخرين. إن مظهري في الشارع وسلوكياتي فيه هي نوع من المعاملة بيني وبين كل من يرى هذا المظهر، ويشاهد هذا السلوك. وعلى قدر سلامة هذا السلوك واتفاقه مع تعليمات الله تعالى وأوامره ونواهيه، يكون سلوكاً مقبولاً من الناس غير ضار بهم، أو يكون سلوكاً مرذولاً غير مقبول من الناس وضار بهم مادياً وأدبياً ونفسياً، وبقدر الإحسان بهذا السلوك إلى الناس تكون درجة المثوبة والتكريم من الله تعالى، «تبسمك في وجه أخيك صدقه».

بعد هذا البيان الطيب لما تعنيه حقيقة المعاملة بين الناس، كيف يصبغ خلق الحياء من الله تعالى سلوكيات الناس في الشارع وما تأثيره على الحياة الاقتصادية؟

أول ما نقرره في هذا الشأن هو أن الظهور في الشارع العام لابد أن يكون لمصلحة، أذهب إلى عملي، أسير لقضاء مصالحي، متسوقاً أو متريضاً، أصل إلى مقصد من مقاصدي المشروعة. هذا هو الأصل في الظهور في الشارع، أما الظهور لغير

غرض مشروع فإنه ممنوع. قال الرسول ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ» قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟، قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ» فهذا الحديث الشريف يوضح أن الأصل عدم البروز إلى الشارع العام واتخاذه مجلساً، ولما لم يجد الناس متنفساً غيره، أبيح لهم الجلوس والبروز إلى الشارع بشرط الوفاء بالتكاليف الواجبة، وقد لخصها النبي ﷺ في رد السلام، وغض البصر وكف الأذى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وحقيقة نحن لا نطلب من الشخص في الشارع العام إلا أن يحقق هذه الواجبات، فإن كان غير قادر على القيام بها فليسعه بيته، ولا يخرج إلى الشارع العام إلا للضرورة القصوى.

والذي يستحي من الله تعالى ـ كما قلنا مراراً ـ هو الذي ينفذ تعليمات الله، فإذا حرص الشخص على التخلق بخلق الحياء من الله تعالى في الشارع فإنه سيكف أذاه، ويبسط نداه، ويعين على الخير، ويمنع الشر، وإذا تواصى الناس وتعاونوا على ذلك، أصبحت شوارعنا، على خير ما نحب أمناً ونظاماً ونظافةً وجمالاً مادياً ومعنوياً، بحيث ترى عنواناً للمجتمع، وبهجة للناظرين.

هل تتفضل بأن تذكر لنا أمثلة مادية على أثر الحياء على السلوكيات التي تمارس في الشارع العام؟

الأمثلة كثيرة، بل أكثر من أن تحصى، إنها الحياة بكل جوانبها، حيث الشارع يمثل المجتمع بكل ما فيه. ولو أردنا اجتزاء بعض الصور من السلوكيات التي تمارس في الشارع فيكفينا بعض الصور فمثلاً:

١ـ المغالية التي تقع بين العربات السائرة في الطريق، كل يبغي السبق، والبعض

يستخدم الأبواق بغير ضرورة والبعض يخالف إشارة المرور إن كانت موجودة، والبعض يقف في المناطق الممنوع فيها الوقوف، أو يسير في الاتجاهات الممنوع السير فيها، وبعضهم ينفث الغازات السامة بكثافة، وكل يفزع المشاة الذين يعبرون الشارع، وهم يعبرون أيضاً في أي مكان مخصص لعبور المشاة أو غير مخصص، هذه الصورة السيئة للشارع والتي نشاهدها وبخاصة في أوقات الذروة المرورية، هل المشاركون فيها يتخلقون بخلق الحياء من الله تعالى، إنهم لم يكفوا أذاهم، ولم يقفوا عند حدودهم، ولم يرحموا غيرهم، ولم يحسنوا إلى أنفسهم، ولو سيطر عليهم خلق الحياء من الله تعالى لكانت الصورة على عكس ذلك تماماً.

٢. العربة الفارهة المنطلقة في الشارع، ويفاجئك من بداخلها بإلقاء الفضلات المتنوعة في الشارع العام، بم تسم سلوك راكبها؟ هل مارس الحياء من الله تعالى؟ إن بداخل العربة مكاناً لهذه المخلفات، لكنه لا يستخدمه، بل يستخدم الشارع العام لإلقاء مخلفاته. والعربة التي تحمل القمامة التي جمعت من أماكن شتى، ثم تسير في الشارع العام لتعيد توزيعها بالعدل على كل الشوارع التي تمر بها، هل سائقها والشركة المسئولة عنها يمارسان الحياء من الله تعالى؟ إنهما لو فعلاً لا حكماً غطاء العربة، وحفظا الشارع من التلوث.

٣. العربة الأخرى التي تسير بسرعة قصوى في شوارع أكره المارة على السير فيها في نهر الشارع، حيث الرصيف قد احتلته الاشغالات، ويمر على بركة ماء فينثر ماءها على المشاة وهم ذاهبون إلى أعمالهم أو عائدون منها، ولو استحيا من الله لهدأ سرعته عندما يمر فوق المياه الراكدة، حتى لا يؤذي المارة ويفسد عليهم يومهم بهذا السلوك.

نكتفي بهذا القدر من هذه الصور اليوم على أن تخصص الحلقة التالية، لصور غاب عنها الحياء من الله تعالى في الشارع العام.